فاته من الكمال بقدر ما فاته من ذلك فالخير كله في الحرص على ما ينفع ولما كان حرص الانسان وفعله انما هو
بمعونة الله ومشيئته وتوفيقه امره ان يستعين بالله ليجتمع له مقام إياك نعبد وإياك نستعين
فان حرصه على ما ينفعه عبادة لله تعالى ولا تتم الا بمعونته فامره ان يعبده وان يستعين به فالحريص
على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز فهذا ارشاد له قبل وقوع المقدور الى ما هو من اعظم اسباب
حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن ازمة الامور بيده ومصدرها منه ومردها اليه
فان فاته ما لم يقدر له فله حالتان عجز وهو مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز الى لو ولا فائدة في لو ههنا
بل هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والاسف والحزن وذلك كله من عمل الشيطان فنهاه صلى الله عليه وسلم
عن افتتاح عمله بهذا الافتتاح وامره بالحالة الثانية وهي النظر الى القدر وملاحظته وانه لو قدر
له لم يفته ولم يغلبه عليه احد فلم يبق له ههنا انفع من شهود القدر ومشيئة الرب النافذة التي
توجب وجود المقدور وان انتفت امتنع وجوده ولهذا قال فان غلبك امر فلا تقل لو اني فعلت
كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فارشده الى ما ينفعه في الحالتين حالة حصول
المطلوب وحالة فواته فلهذا كان هذا الحديث مما لا يستغني عنه العبد ابدا بل هو اشد شيء ضرورة
اليه وهو يتضمن اثبات القدر والكسب والاختيار والقيام بالعبودية ظاهرا وباطنا في حالتي
حصول المطلوب وعدمه وبالله التوفيق انتهى قوله باب النهي عن سب الريح

عن ابي بن كعب رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تسبوا الريح فاذا رأيتم ما
تكرهون فقولوا اللهم انا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما امرت
به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما امرت به صححه الترمذي ش لانها انما تهب
عن ايجاد الله تعالى وخلقه وامره لانه هو الذي اوجدها وامرها فمسبتها مسبة للفاعل وهو الله
سبحانه كما تقدم في النهي عن سب الدهر وهذا يشبهه ولا يفعله الا اهل الجهل بالله ودينه وبما شرعه
لعباده فنهى صلى الله عليه وسلم اهل الايمان عما يقوله اهل الجهل والجفاء وارشدهم الى ما يجب ان يقال
عند هبوب الرياح فقال اذا رأيتم ما تكرهون فقولوا اللهم انا نسألك من خير هذه الريح وخير ما
امرت به يعني اذا رأيتم ما تكرهون من الريح اذا هبت فارجعوا الى ربكم بالتوحيد وقولوا اللهم
انا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما امرت به ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر
ما امرت به ففي هذا عبودية لله وطاعة له ولرسوله واستدفاع للشرور به وتعرض لفضله و
نعمته وهذه حال اهل التوحيد والايمان خلافا لحال اهل الفسوق والعصيان الذين حرموا ذوق
طعم التوحيد الذي هو حقيقة الايمان قوله باب قول الله تعالى يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية

يقولون

يقولون هل لنا من الأمر من شيء قل ان الامر كله لله الآية وهذه الآية ذكرها الله تعالى في سياق
قوله في ذكر وقعة احد ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم يعني اهل الايمان
والثبات والتوكل الصادق وهم الجازمون بان الله تعالى ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم وينجز له مأموله
ولهذا قال وطائفة قد اهمتهم انفسهم يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف يظنون بالله غير
الحق ظن الجاهلية كما قال تعالى بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهليهم ابدا وزين
ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء الآية وهكذا هؤلاء اعتقدوا ان المشركين لما ظهروا تلك الساعة
ظنوا انها الفيصلة وان الاسلام قد باد واهله وهذا شأن اهل الريب والشك اذا حصل
امر من الامور الفظيعة تحصل لهم هذه الامور الشنيعة عن ابن جريج قال قيل لعبد الله بن ابي
قتل بنو الخزرج اليوم قال وهل لنا من الامر من شيء قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى في
الكلام على ما تضمنته وقعة احد وقد فسر هذا الظن الذي لا يليق به سبحانه بانه لا ينصر
رسوله وان امره سيضمحل وفسر بظنهم ان ما اصابهم لم يكن بقضاء الله وقدره ولا حكمة
له فيه ففسر بانكار الحكمة وانكار القدر وانكار ان يتم امر رسوله صلى الله عليه وسلم وان يظهره
على الدين كله وهذا هو ظن السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون عليهم دائرة السوء وغضب الله
عليهم ولعنهم واعد لهم جهنم وساءت مصيرا وانما كان هذا ظن السوء وظن الجاهلية وهو المنسوب
الى اهل الجهل وظن غير الحق لانه ظن غير ما يليق باسمائه الحسنى وصفاته العليا وذاته
المبرأة عن كل عيب وسوء وخلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفرده بالالهية وما يليق بوعده
الصادق الذي لا يخلفه وبكلمته التي سبقت لرسله انه ينصرهم ولا يخذلهم ولجنده بانهم هم
الغالبون فمن ظن به انه لا ينصر رسوله ولا يتم امره ولا يؤيده ويؤيد حزبه ويعليهم و
يظفرهم باعدائهم ويظهرهم وانه لا ينصر دينه وكتابه وانه يديل الشرك على التوحيد ادالة
مستقرة يضمحل معها التوحيد والحق اضمحلالا لا يقوم بعده ابدا فقد ظن بالله ظن السوء ونسبه الى
خلاف ما يليق بجلاله وكماله وصفاته ونعوته فان حمده وعزته والهيته تأبى ذلك وتأبى
ان يذل حزبه وجنده وان تكون النصرة المستقرة والظفر الدائم لاعدائه المشركين
به العادلين به فمن ظن به ذلك فما عرفه ولا عرف اسماءه ولا عرف صفاته وكماله وكذلك من
انكر ان يكون قدر ما قدره من ذلك وغيره لحكمة بالغة وغاية محمودة يستحق الحمد عليها
وان ذلك انما صدر عن مشيئة مجردة عن حكمة وغاية مطلوبة هي احب اليه من فواتها
وان تلك الاسباب المكروهة المفضية اليها لا يخرج تقديرها عن الحكمة لافضائها الى ما

Copyright © King Saud University